

البداية والنهاية

يوم لا ليلة بعده قال فأفحم المنصور قوله وأمر له بمال فقال لو احتجت إلى مالك لما وعظتك ودخل عمر بن عبيد القدري على المنصور فأكرمه وعظمه وقربه وسأله عن أهله وعياله ثم قال له عطني فقرأ عليه سورة الفجر ان ربك لبالمرصاد فبكى المنصور بكاء شديدا حتى كأنه لم يسمع بهذه الآيات من قبل ثم قال له زدني فقال إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها وإن هذا الأمر كان لمن قبلك ثم صار اليك هو صائر لمن بعدك واذكر ليلة تسفر عن يوم القيامة فبكى المنصور أشد من بكائه الأول حتى اختلفت أجفانه فقال له سليمان بن مجالد رفقا بأمر المؤمنين فقال عمرو وماذا على أمير المؤمنين أن يبكي من خشية الله؟ ثم أمر له المنصور بعشرة آلاف درهم فقال لا حاجة لي فيها فقال المنصور والله لا تأخذنها فقال والله لا آخذنها فقال له المهدي وهو جالس في سواده وسيفه إلى جانب أبيه أيحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت فالتفت إلى المنصور فقال ومن هذا فقال هذا ابني محمد ولي العهد من بعدي فقال عمرو إنك سميت اسمي لم يستحقه لعمله وألبسته لبوسا ما هو لبوس الأبرار ولقد مهدت له أمرا أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه ثم التفت إلى المهدي فقال يا ابن أخي إذا حلف أبوك وحلف عمك فلأن أبوك أيسر من أن يحنث عمك لأن أباك أقدر على الكفارة من عمك ثم قال المنصور يا أبا عثمان هل من حاجة قال نعم قال وماهي قال لا تبعث إلى حتى آتيك ولا تعطني حتى أسألك فقال المنصور إذا والله لا نلتقي فقال عمرو عن حاجتي سألتني فودعه وأنصرف فلما ولى أمده بصره وهو يقول ... كلكم يمشي رويد ... كلكم يطلب صيد ... غير عمر بن عبيد

ويقال إن عمرو بن عبيد أنشد المنصور قصيدة في موعظة إياه وهي قوله ... يا أيها الذي قد غره الأمل ... ودون ما يأمل التنعيم والجل ... إلا ترى أنما الدنيا وزينتها ... كمنزل الركب حلوا ثم ارتحلوا ... حتوفها رمد وعيشها نكد ... وصفوها كدر وملكها دول ... تظل تفرع بالروعات ساكنها ... فما يسوغ له لبن ولا جذل ... كأنه للمنايا والردى غرض ... تظل فيه بنات الدهر تنتقل ... والنفس هاربة والموت يطلبها ... وكل عسرة رجل عندها جلل ... والمرء يسعى لوارثه ... والقبر وارث ما يسعى له الرجل